هاجس الاغتراب و الترحال عند

عبدالوهاب البياتي

د.ناهده فوزي

الملخص

انّ البيّا تي الشاعر الجوّ اب الذي قضى عمره في الترحال و الطواف في مدن العالم، عبّر عن الاحساس بالغربة بصورعديدة و وفق مراحل مختلفة، تعكس اشكال متنوعة لهذه الرؤية. ففي هذه المقالة كشفت عن ابعاد و مراحل هذه الظاهرة من خلال اشعاره و وصلت الى نتائج تدلّنا على معرفة جذور شخصيّة البياتي.هذا الشاعر الذي عاش شعره فانعكست مراحل حياته عبر دواوينه الشعرية.

الكلمات الاساسية : البياتي - الغربة - المنفى - الوطن – الترحال -الصوفية.

Feeling of homesickness in al-Bayyati’s poetry

Abstract

Al- Bayyati was a great innovator in the language of poetry , and he became known all over the arab world , because he travelled a lot around the world. He lived outside Iraq for more than his life , therefore , he was feeling , that he always lived in exile. He has tride to show the other meanings from its deep homesickness in his odes , and the present article subject analyzes that.

Key words: Al – Bayyati , Homesickness , Exile , Realism , Internal , Sufism.

المقدمه

ما اريدان ابيّنه في مقالتي هذه هو الاحساس بالغربة و جذورها وأبعادها عند الشاعرالعراقي المعاصرعبدالوهاب

البياتي و هل الغربة عنده تدلّ على حالة منبعثه و متأثرة من العوامل الخارجية فى المنافي الواقعية و الابتعاد عن

أرض الوطن او الاحساس بالغربة عنده حالة نفسيّة و رؤية شعرية تجاه الحياة و الكون تنبعث من المنافي الذاتية و الغربة النظريةالإيطوبيّة، التى تستخدم كطاقةٍ نفسيًّة للابداع و الابتكار و تدلّ على رؤية تنظيريّة؛حيث يرى الشاعرنفسه غريباً متوحًّدا في هذه الدنيا وكانّه يرحل بعقله و في ذاته " من منفى إلى منفى" و يبحث عن مجهولات

العالم و كأن الاحساس بالاغتراب عنده نوع من الإنفصال عن المجتمع و حتّى عن النفس.

ما حثّني على اختيار دراسة هذه الظاهرة عند البياتي، شاعرالتجواب في مدن العالم التى عبّرعنها بالمنافي الواقعية، هو كشف مدى أثر الاغتراب خارج الوطن في هذا الإحساس و تمييزه عن الإحساس بالغربة الذاتية.سواء كان الاغتراب في أرض الوطن أو في الترحال أو اندماج كلتي الحالتين في آنٍ واحدٍ.

لأجل تبيين جذور رؤية عبدالوهاب البياتي للإ حساس بالغربة. لابدّ انْ اتطرّق الى نبذة من حياته التي قضى معظمها في الترحال.

مظاهر الاحساس بالغربة

ولد البياتي سنة ١٩٢٦ في بغداد و في ١٩٥٠ تخرّج في الأدب العربي و نال شهادة الليسانس، و نشر اوّل ديوانه الشعرى باسم " ملائكة و شياطين " نفس السّنة في بيروت. عمل في حقل التدريس فترة و قد فصل عن العمل بسبب ميوله الوطنيّة المعادية لنظام الحكم الرّجعي الإقطاعي، ممّا حمله على التنقّل من بلدٍ عربّي الى آخرو جعل معظم حياته في الترحال. بعد ثورة ١٩٥٨ عاد الى العراق فعيّن في وزارة التربية مديراً للتأليف و النشروالترجمة ثم ملحقاً في السفارةالعراقية في موسكو الى أن استقال مؤثراً التدريس في جامعة موسكو.و في عام ١٩٦٤ سافر الى مصر، حيث اسقطت عنه الجنسيّة العراقية ثم اعيدت اليه سنة ١٩٦٨، فعاد الى العراق عام ١٩٧١ و عيّن في وزارة الثقافة و الاعلام و انتقل الى اسبانيا بعد تعيينه ملحقاً ثقافياً بمدريد منذ بداية عام ١٩٨٠ الى عام ١٩٨٩، و في ١٩٩٠ عاد الى بغداد. و في اول ١٩٩١ أتاه نبأ وفاة ابنته الكبرى" نادية " في امريكا، الذي صادف غزو الكويت و تلك الظروف الحرجة في العراق. فبعد انتظار مؤلم للموافقة مع سفره من العراق سافر الى امريكا ليقوم بواجبه تجاه ابنته المتوفيّة ويحتضن اطفالها.

بعد ذلک قرّر البقاء في عمّان، ثم سافر الى لبنان و مکث مدّة هناک فرحل من لبنان الى سورية. توفّي البياتي في دمشق من عمريناهز ٧٣ عاماً إثراصابته بأزمة قلبية، و دفن في دمشق، کماکان يودّ، في حيّ من احياء الفقراء الذين عاش بينهم و غنّى لهم شعره، الى جوار الجواهري[٢] و محيي الدين بن عربي[٣]. (کامبل اليسوعى،١٩٩٦ ، ج ١،ص ٣٨٨- ٣٨٩؛ عبد القادر، ١٩٩٩ ، مجلة المصور، عدد ٣٩٠٥، ص٣٦).

وهکذا تمتّع البياتي بثقافة واعية بالعالم و معلومات متوسّعة فخدمته هواية الترحال و جلبت له الشهرة العالمية

(الصائغ، ١٩٧٨،ص٥٠ ، ٨٤- ٨٥؛ فوزى، ١٣٨٣، ص٤، ٣٤- ٣٥). في الواقع إنّ البياتي لم يکن منفيًّا من جانب السلطة

و لا معاقباً من قبل الحکومة، بل رحل من العراق بجواز سفر قانوني و اختار الهجرة و التجواب في مدن العالم، التي کان يحلم بها دائماً،لتفتح له المجال لتطوّر إبداعه الشعري (انظر: البياتي، ١٩٩٦، ص ٩١-٩٤؛ فوزى، ١٣٨٣،ص٣٤) فأسطورة الشاعرالمنفي التي خلقها البياتي لنفسه کرؤية شعرية، تنبعث من أحاسيس الشاعرالنفسيّة في الغربة (فوزى،١٣٨٣، ص ٣٤- ٣٥). فأريد ان أکشف عن مصيرشعرالغربة عند شاعرعاش ما يقرب من نصف

عمره خارج بلاده.

مثلاً نراه ينشد واقع الاحساس بالغربة في ظروف الاغتراب خارج وطنه و يتکلم عن الوطن الذي يريد تغيير

ظروفه و يعبّر عنه بالسراب :

يا صوت الغراب

أين أمضي ، وطني ناءٍ ، و کفاک على رأسي تراب

اين أمضى ، فارسي مات على ابواب بغداد سراب

يا غراب البين لا تنعب

فأيّامي رحيلٌ واغتراب (البياتي، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٤٢) .

وايضاً في شعر آخرعند ما يتطرّق الى القضايا السياسية و الاجتماعية يعبّرعن المشرّد و العودة من الغربة بتعبيرها الواقعي الخارجي عند ما ينشد :

الشاعرالغارق في الأحزان والأغلال

يعود من غربته ممزَّقا جريح

ماذا تقول الريح؟

للشاعر الشريد

في وطن العبيد

والسا سة اللصوص و التجارالأ نذال

يمرغون القمر

الأخضر في الأوحال

و يسفحون المال

تحت نعال جارية (البياتي، ١٩٩٥، ج ١ ، ص ٤٨٤) .

و كثيراً ما يربط الشاعر الاحساس بالغربة في المنافي الواقعيّة، مع ظاهرة الثلج بما أنّه عاش سنوات بعيداً عن ارض وطنه في موسكو بلد الثلج فكأنّه وجد علاقة بين الغربة و الثلج :

لريشتي الشريدة

لغربتي، للثلج في المنفى . لهذي النجمة الوحيدة (البياتي، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٩٠) .

ولكن لم يكن الشاعرمنفيًّا بل كان مستشاراً ثقافياً في سفارة الجمهورية العراقية في موسكو.(انظر، ١٩٩١،ص ١٨٠) . مع أنّ البياتي اختار الترحال طوال حياته ، لكنه عانى من الاحساس بالغربة و مع انّه لم يكن منفيًّا وجد

العالم منفى . (فوزى،١٣٨٣، ص ٢١٦) .

ومن جانب آخرنراه يعبّرعن حلاوة طفولته بصيف الطفولة و يحن اليها فيكشف عن تشوّقه الى عالم الطفولة العذبة في أرض الوطن :

و حدائق الليمون في أعلى الفرات

أمضيت صيف طفولتي

فيها، و أدركني الشتاء

و حملت في منفاي بعد رحيلها

ذهب القصائد و الرّماد (البياتي ، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٥) .

و كم قارن الشاعر بين الغربة و الثلج و الموت و المنفى و الأسوار و السجن و الواحدة و جمع مثل هذه الكلمات متتالية، تلهمنا مدى الاحساس بالغربة عند الشاعر، نستشهد بأبيات منها :

وجهي الأخر تحت قناع الموت

و ضياعي في ملكوت المنفى:

من منّا الاعمى

في سجن الحريّة؟

يبكي تحت الأسوار الحجرية

و يموت وحيداً في الغربة

محكوماً بشروط اللعبة (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٤٧٦) .

و أيضاً يستخدم الرموز لبيان أنّ قلمه و ما ينشده هو سلاحه في وحدة منفاه تحت عنوان " الحلزون " فيعبّرعن هذا السلاح بـ " النبوءة "

رجلٌ تسلّح بالنبوءة و اللهيب

أسرى بنار الرافضين

و مات في المنفى وحيد

كلماته اخترقت جدار الصمت

ذوّبت الجليد (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٤٥٦) .

و أيضاً يشير اليالإحساس بالغربة الخارجيه بنفس الكلمات معبراً عن طقوس سياسيه غامضة تكشف عن حالة

الشاعر النفسيّة و تدلّ على التمرّد و التحدّى عنده . الطقوس التى جعلت الشاعر يكون كالميت في حياته، و لا يجد

في صدره إلاّ المقبرة و الثلج معبِّرا عن مدى سيطرة الجمود و الركود في الأجواء السياسيّة :

مملكة الشاعر حاصرها الأعداء . . .

شقّوا صدر الشاعر

لم يجدوا في داخل

الاّ مقبرة، كان الثلج يغطيّها . . .

حكموا بالنفي على الشاعر بعد الموت

أقاموا حول المنفى، الأسوار (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٥٣١) .

و ايضاً يعبّرعن كآبة غربته بالليالي الباردة وحقيبةٍ يحمل فيها قلبه الحزين في قصيدة يخيّم اليأس على أبياتها:

الشموع انطفأت

والليالي بردت

وأنا احمل قلبي في حقيبة

مثل طفل ميِّت ،

أغرق بالدمع صليبه (البياتي، ١٩٩٥،ج ١، ص ٤١١) .

كرّرالبياتي تعبير" من منفى الى منفى " في اشعاره التي تناسب واقع حياته فعاش معظمها في المنافي و نراه ياتي بتعابيرسياسية – اجتماعيه و رموز ماخوذة من واقع الحياة في وطنه. الظروف القاسية التي ادّت الى اختيار الاغتراب و الترحال من جانب شاعرنا :

من القاع انا‌ديک . . .

أهذا الثلج من برد لياليک

أهذا الفقر من جود أياديک . . .

أهذا القمر الميت انسان؟ . . .

أتسرقني؟ أتتركني؟

بلا وطنٍ و أكفان

أهذا انت يا جاري؟

تطاردني الى داري

كأن شوارع المدن

خيوط منک يا كفني

تطاردنى، تعلّقني

على شبّاک مستشفى

و من منفى الى منفى (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢،ص٤٢-٤٣،٤٥) .

و كثيراً ما نراه ينظر بمنظار سياسي محترف و متشائم بالنسبة للمعادلات السياسية من خارج وطنه أو من

منفاه لأنّه عبّر عن العالم بالمنفى و عن الغريب بالذي لايحيا و لا يموت في الغربة و الثلوج تحيطه :

الساسة المحترفون ينجرون خشب التابوت

وأنت في ا لغربة لا تحيا و لا تموت ..

تطمرک الثلوج و النجوم و الياقوت (البياتي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٩٦) .

وعند ما ينشد عن العرب اللاجئين و عن يافا يتكلم عن واقع اللجوء و مرارته و عن الواقع السياسي :

ليل المنافي في محطّات القطار بلاعيون

يبكون تحت القبعات

ويذبلون و يهرمون

يا من رأى " يافا " باعلانٍ صغيرٍ في بلاد الآخرين

يا من يدقّ الباب

نحن اللاجئين

متنا... و ما " يافا " سوى اعلان ليمون! (البياتي، ١٩٩٥،ج ١، ص٤٢٤) .

وايضاً نراه يجسّم الواقع الاجتماعي للآجئين و يسأل عن لسان الانسان الغريب اللاجىء و يدعوه للثورة و

استرداد وطنه في شعر تحت عنوان " لماذا نحن في المنفى؟ " :

لماذا نحن في صمت

نموت

و كان على الشوک

و كانت لي . .

لماذا نحن في المنفى

نموت في صمت

و لا نبكي

على النار

مشينا و مشى شعبي

لماذا نحن يا ربّي

بلا وطنٍ، بلا حبّ (البياتي، ١٩٩٥،ج ١، ص ٤٣٠) .

فإن البياتي الذي كان لا يطيق الحصار، اختار الترحال بحثاً عن ظروف تمنحه اكثر حريَّة ، كان شاعر الوطنية.

العالميّة اكثر من أن يكون شاعر الوطنية المحليّة (فوزى، ١٣٨٣، ص ٢١٦) .

الادماج بين الاحساس بالغربة الواقعية و الذاتية :

يتطّرق البياتي الى كبارالشعراء القدامى ، يبحث عن وجوه الاشتراک بين احساسه بالغربة الذاتية واحسا س امثال

ابى العلاء المعري[٤] و الخيّام[٥] بها. فيبحث عن الجذور و يحاول أن يتمسّک بقمة التراث الانسانى ففي شعره

"حسرة في بغداد " يجعل شوقه الى العراق كشوق ابي العلاء لمعرة النعمان التي عندما ارتحل عنها الأحباب

اصبحت وطناً كئيباً، فارقته الفرحة و لم يبق فيها الا الموت :

معرة النعمان يا حديقة الذهب

الصيف جاء و ذهب

وأنتِ تضحكين

لاهيةً، بالرمل تلعبين

حطّ على شرفتک الغراب

وارتحل الأحباب

تفرّقوا قبائل

و جفّت الخمائل

و هاجرت مع الضحى العنادل

لم يبق الاّ الموت في الأطلال و الهياکل (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٣٢) .

و يعبّر عن ظروفه و حالة غربته على لسان خيام :

في سنوات الموت و الغربة و الترحال
كبرت يا خيّام
و كبرت من حولك الغابة و الاشجار . . .
و مات في داخلك النهر الذي أرضع نيسابور(البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٧١) .

و نرىٰ البياتي في تعبيره عن الغربة يستخدم الاساطير و التراث التاريخي و يحاول التزاوج بين اصالة التراث و التقنية العصرية لينضج تجربته الشعرية و كم يكون احساسه عميقاً و جريحاً من ألم الغربة بحيث استطاع ان يترك اثر الحسرة المنبعثة من خلايا وجوده في نفس القارىء و يصل الىٰ رؤيهٔ كونيّة، متَّخذا من الأسطورة قناعاً لنفسه :

من اسفل السلّم ناديتك يا ربّاه
جلدي يسّاقط في الظلام . . .
الليل طال و طالت الحياة
و بردت جدران هذا القلب يا رّباه
جنيّة البحر على الصخرة تبكي، مات سند باد . . .
ربّاه طالت غربتي ربّاه!
وغرقت عبر الليالي " ارم العماد "
عصا سليمان على بلاطة الزم
وهوعليها نائمٌ، متُّكىء، يقظان
ينخرها السوس، فيهري ميًّتا رميم . . .
تهرًّا الخيّام
وسقطت أسنانه، و جفّت العظام . . .
والدود فوق وجهه فار و في الأقداح
العندليب قال لي، و قالت الرياح
الليل طال، طالت الحياة (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٨١ – ٨٢) .

ومن ثم ادّى الاحساس بالغربة في المنافي الواقعية الى حالة نفسيّة غامضة تدلّ على الغربة الداخلية و الذاتية في آنٍ واحدٍ، فيخبط الاحساس بالغربة الذاتية بواقع الغربة و الظاهرة الخارجية، في باريس، و نيشد :

باريس في الشتاء

تدثّرت بالثلج و الفراء

فما لقلبى ظلّ في العراء

يبكي كعصفور

على الأرصفة البيضاء

وأقبل المساء

كمثل آلاف الأماسى

بارداً، يبكى ... بلا عزاء . . .

حانات ليل العالم الطويل

والثلج الذى تغمره الكآبة الخرساء

يحمل لي رائحة الموت الذى يحوم فى الهواء (البياتي، ١٩٩٥ ،ج ١، ص ٤٧٣) .

وعندما يتحدّث عن منافيه الواقعية التى جعلته يجوب البحار، يشير الى أنّ وطنه هو المنفى و ما ادّى الى هذا المنفى هو شعره و سلاح قلمه لذلك لايشعر بالراحة من عذاب الغربة حتى اذا كان في ارض وطنه مجرداً من سلاحه :

أيّها الحرف

الذّي علّمني جوب البحار

وطني المنفى

و منفاى الى الاحباب دار

ايّها الحرف المدمّى

ايّها المنفى

يا محض شعار

انّني احمل بغداد معي في القلب

من دارِ لدار (البياتي، ١٩٩٥ ،ج ١، ص ٤١٤) .

ومهما طال عليه الزمن في المنافي لكنّه لايتشاءم و يجعل ارض وطنه كأسطورة محصورة في عالم الطفولة. تجعل احساسه بالنسبة للإغتراب تتعالى و تتحّد مع ازلية الكون، فينشد في شعر " بغداد " :

مهما طال حوار الابعاد

فستبقى بغداد

شمساً تتوهّج

نبعاً يتجدّد

ناراً ازلية

رؤيا كونّية

لطفولة " شاعر " (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٤٨٢) .

و أيضاً يتمّسک بکتب الأسفار و التاريخ وبالصوفى الحلاج[٦] في شعر" التجلّي المقدّس " :

للوطن المدهوش في زوبعة الأوراق

للوطن المسكون بالعشاق . . .

لكتب الأسفار

والليل و النهار

تطّلع الحلاج . . .

وخبّأ الراس الذي أحرق بعدالصّلب في الامواج (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢، ص ٤٩٦) .

لعلّ عبدالوهاب البياتي اكثر الشعراء حديثاً عن المنفى و عن الاحساس بالغربة و كانّه بنى عوالم من المنفى احاطت بجوانبه كلها و عبّر عن غربته بغربتين، منفى في ذاته التي سنتطرّق اليها اكثر، و المنفى الواقعي في الحياة الاجتماعية خارج الوطن ، و لكن مع كلّ ما وجدنا من الاحساس النفسي بالغربة و مع كثافة الرموز التي يستخدمها لانستطيع ان نقول انّه شاعر رومانسيّ او ذاتيّ بل ما هو الواضح في اشعاره والغالب على اسلوبه طابع

الواقعيّة،والإلتزام في ثوب من التشاؤم بالواقع السياسى،وهذا طبعاً لا يدلّ على التشاؤم النفسي بالنسبة لحقيقة الحياة

والعبثية بتاتاً، فإنّه يتغنّى بالثورة و الحريّة والظاهرة المسيطرة حتّى على رؤيته التشاؤمّية،هي ثورته و عصيانه و تمرّده الدائم على ما يجري حوله، فكثيراً ما يشكو من واقعه ليثيرالحمّية و النخوة عندالقارىء وهو يطلب السعادة والطمأنينة، و لكن بعد تغييرما يكون، و بما انّه وحيدٌ في هذا الطريق ينشدالاحساس بالغربة، و عند ما يرى الطقوس الحاكمة لا تلائم آراءه يحسّ بأنّه يعيش بالمنفى حتّى في وطنه. ونراه مع حزنه وتشاؤمه واحساسه بالغربة

و نقده اللاذع للمجتمع و " الناس العبيد "، ينظر الحياة بمنظارشاعر ملتزم واعٍ غايته توعية شعبه وحثّه على القيام لتحصيل حقوقه، فهويتحمّل الوان العذاب في الترحال والغربة و السجن و ... و نراه يضطهد لأجل غاياته و لا يرى رسالته اسطورية و لا منعزلة عن الحياة، بل يعبّرعن تجربتة الفردية و رؤيته النفسية احياناً و عن تجربة جماعية كتجربة فردّية احياناً اخرى . فعندما يرى سكوت الانظمة و القوانين على الظلم الاجتماعي في انحاء العالم و استغلال الأغنياء الفقراء، يعبّرعن معاناته الذاتية لهذه القضايا الاجتماعيّة . لكنّه يظلّ آملاً ولا يميل الى التدرّج و الضياع النفسي فتشاؤمه في احساسه بالغربة لا يؤدّى الى رؤية عبثيّة للكون بل على العكس تجعله يصعّد و يعلو آفاق رؤيته بالنسبة للغربة الداخلية الى نظرّية كونيّة صوفيّة، شاملة سأتطرّق اليها في كشف الظاهرة الأخرى من الاحساس بالغربة الكونيّة.

الغربة الذاتية و الرؤية الصوفيّة

وأما الأن اريد ان أبيّن الظاهرة الأخرى من الاحساس العميق بالغربة عند البياتي وهى الغربة الذاتية و الداخليّة وتدلّ على الاحساس بالغربة النفسية فى هذه الحياة بل في الكون كلّه واحياناً يشير الى عوالم أخرى .

فيحطّم الشاعرأسوارالولادة والموت والزمان و ... ويقلب الأطرالمتداولة للتعابير،فيعبّرعن الحياة بالمنفى :

ها أنت وحيد
مملوء بالغربة في هذا العالم
تخرج ليلاً من باب الفجر . . .
في كلّ صباح تشنق نفسك
لكن العنقاء بنار الشعر تعود لتنفض عنك رماد الأشياء
فحبك يبقى الكنز المرصود
و تبقى انت ... منتظراً، مسكوناً بالغربة ... اميراً للمنفى . . .
ما بين الرهبة و الرغبة
ترحل نحو الداخل، مسكوناً بالغربة
العالم منفى في داخل منفى والناس رهائن. (البياتي، ١٩٩٥،ج٢،ص ٤٣٩-٤٤٠).

وهذه الرؤية من الكون هى التّي تجعله أن يرى الانسان غريباً في وطنه وفي كلّ مدن العالم على سواء،و برأيي

الذي أوصل الشاعر السياسي الملتزم عبدالوهاب البياتي في مساره الى هذه النقطة هو فشل أمنياته لوطنه و للعالم

العربي، في الواقع السياسي :

غريباً كنت في وطني و في المنفى
جراحاتي التى تشفى
ستفتح في غدٍ فاها
لتسألني
لنصلبني
على شبّاك مستشفى
فأوّاها
بعيد أنت يا وطني . . .
أهذا انت يا قدري ؟
تجرّ وراءك العربات و الموتى . . .
و تغرق هذه الغابات بالعتمة
عصافير بلاعشّ (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢ ،ص ٤٦) .

وفي هذا النطاق نراه يقلّب المعاني المتداولة و يعبّرعن الموت تارةً بالولادة الأخرى و تارةً بالعودة من المنفى ،

ففي قصيدة " العودة من المنفى " يرثي صديقه ناظم حكمت[٧] و ينشد :

ولادةٌ أخرى هو الموت، هو الإياب
زوارق الحبّ تحطّمت . . .
ناظم عاد! من يدقّ الباب؟
عاد من المنفى مع الطيور و السّحاب (البياتي، ١٩٩٥، ج ٢ ،ص ٤٦) .

وايضا ينشد في رثاء ناظم حكمت عن لسان حاله :

يتيمة الوطن
كنت وكان طائر الشجن
رفيق رحلتي الى الكفن
رفيق رحلا تي الى الوطن
في وحشة الزمن

كان حياتي، فأنا من بعده

سحابة . . .

تطردها الرياح من منفى

الى منفى (البياتي، ١٩٩٥،ج١ ،ص ٤٧١) .

و نرى هذا الاحساس الذاتي بالغربة عنده لا يتحمّل الموت و لا الحياة و لا الزمان و ...

القمر الاعمى ببطن الحوت

وانت في الغربة لا تحيا و لا تموت (البياتي،١٩٩٥ ،ج ٢ ص ٦٧) .

و أيضاً يعبّر عن الغربة في الزمن و ماوراء الزمن فينشد :

في مدن العالم

في بيوتها

في وحشة الغروب

في زماننا الحزين

في الساعة الخامسة و العشرين

رأيته يدوس فوق ظلّه

يدقّ في ضلوعه أسفين (البياتي، ١٩٩٥ ،ج ١ ، ص ٤٧١) .

وايضاً يخرق حجب الزمان و المكان و الولادة و الموت و يعبّر عن ألمه بألمٍ بشريٍّ بلا حدود، فينشد في شعر تحت عنوان " الولادة في مدن لم تولد " :

أولد في مدن لم تولد

لكنّي في ليل خريف المدن العربيّة

مكسور القلب، أموت

أدفن في غرناطة، حبّي

واقول :

" لا غالب الاّ الحبّ "

وأحرق شعري و اموت

على أرصفة المنفى

أنهض من بعد الموت

لأولد في مدن لم تولد و أموت (البياتي، ١٩٩٥ ،ج ٢ ،ص ٤٧٠) .

ولكن في نهاية مسارهذاالإحساس بالغربة عندالشاعر،نراه يصل الى الإتحاد مع الكون وتنقلب النظرة التشاؤمية بالنسبة للإحساس بالغربة الى نظرة عرفانية توصله الى أمان الحبّ الأزلي و أن المنفى ينقلب الى الحبل المتين الذي يؤدّي الى سرّ الآلهة و الملكوت :

أيّ حبّ هو هذا؟

عندما يكتشف الشاعر في منفاه

سرّ الآلهة

في بياض الورقة

غابة / قافية محترقة

نجمة مؤتلقة

عندما يصبح هذا النّص مفتوحاً

وهذا القرع في شاهدة القبر

حضوراً في الوجود

تنهض الوردة من تابوتها

حاملة نار جنون العشق

نار الملكوت (البياتي، ١٩٩٥،ج٢ ، ص ٥٢٧) .

و ايضاً يعبّر عن هذا الاحساس بمقدمة للإبداع :

واصلوا الإبداع

في صحراء وحدتهم

و كانوا / ما يكون

تركوا على اسوار هذا الكون

بعض رموزهم

وهم الى ارض الكواكب يرحلون (البياتي، ١٩٩٥،ج ٢ ، ص ٤٩٢) .

فهو اصبح ينشد الاتحاد مع الكون و الروح الأزلي و الإشراق و الخلود في " الهجرة من الذات "

بدأ استشهادى

بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا

سكّنتني الموسيقى

داهمني ليل هيولي

اشتغلت روحي شوقاً للعود الأزلي

فصرت، أدور وحيداً في فلک الإيقاع
متَّحدا في موسيقي الكون و نبض القلب الملتاع
و حين عبرت الخط الاحمر للدنيا
لمعت في عتمة نفسي شارات ضياء
و حوار ما بين الاحياء الموتى
و الموتى الأحياء
سكنت روحي في الكلمات
نـهراً قدّسه رمزٌ كونيٌّ
صار الوجه الآخر للدنيا
صار الإشراق
ظهر الوجه الخالد للحبّ
انتصر الإبداع
قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها
الشعراء
من اجل خلاص الإ نسان
بدأ استشهادي و خلاصي
حين عبرت الخط الاحمر للدنيا
مخترقاً كينونة حبّي الصمّاء (البياتي، ١٩٩٥ ،ج ٢ ، ص ٥٥٥- ٥٥٧) .

النتيجه :

نرى حياة شاعرنا الفنية في مسير تطوّر رؤيته الكونيه يعلو من شاعر وطنى ثائر و ينتهي الى شاعر صوفىّ ينشد انسانية الشمولية ولكن يخلع الصفة السلبية للصوفية و هي الانعزال و عدم المبالاة بالنسبة للقضايا الاجتماعية و السياسيّة. فيبقى البياتى شاعراً واقعيًّا ملتزماً الى نهاية مساره و ينشد حقوق البشر بأسره. كلّ هذا يحصل له من بركة المنافي و تعرّفه الى شخصيات فكريّة عالميّة و الثقافات الانسانية و الظروف السياسيّة بعد حرب ١٩٦٧ طبعاً.

فمااشرناااليه أدىّ الى تحول البياتى من شاعرمناظل يساري الى شاعرانساني ثم الى شاعرِذات رؤية كونيّة شموليّة

صوفية في نطاق رؤيته الخاصة للصوفية، يعلو الى معراج فنّه الشعريّ . ففي هذا المسار إحساسه بالغربة أيضاً يمرّ بتلك التجارب و يرتقي من الإحساس ، الخارجي بالغربه، الى الإحساس بالغربة الذاتي والكوني المتعالي.

الهوامش :

١- ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق أطاحت بالنظام الملكي و أدّت الى سيطرة مجموعة الضباط الأحرار برئاسة عبد الكريم قاسم .

٢- محمد مهدي الجواهري (١٩٠٠ – ١٩٩٧ م) شاعر عراقي و رائد الشعر الكلاسيكي العربي في العصر الحديث .

٣- محيي الدين ابن عربي (١١٦٥ – ١٢٤٠م) متصوّف و شاعرمسلم ؛ ولد في الاندلس و أعطى الفكرالديني الاسلامي بعداً فلسفياً

جديداً و قال بوحدة الوجود .

٤- ابوالعلاء المعرّي (٩٧٣ – ١٠٥٧ م) شاعر عربي عبّاسي مكفوف البصر . عاش عيش الزهاد و عرف بالقسوة في نقد المجتمع.

غلبت الفلسفة على شعره مع نزعة الى الشک و التشاؤم .

٥- عمر خيام (١٠٤٨ – ١١٢٢ م) عالم رياضي و فيلسوف حكيم و شاعر ايراني . بثّ في رباعياته فكره الحر و المتمرد و إمتاز

بالجرأة القويّة و الصراحة العجيبة و تعرّض للإتهام بالزندقة .

٦- حسين بن منصور الحلاج(٨٥٨؟ - ٩٢٢ م) صوفي مسلم، دافع عن الحركة الصوفية وادّعى حلول الذات الالهيّة فيه فاتّهم بالكفر

والزندقة و سجن و عذب .

٧- ناظم حكمت (١٩٠٢ – ١٩٦٣ م) شاعر تركي، من اعلام الأدب التركي الحديث و زعيماً ثورياً يساريًّا في بلاده .عبّر في شعره

عن آلام الجماهير و عاش في المنفى فترة طويلة .

المصادر :

١- البياتي، عبدالوهاب، **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٥ .

٢- البياتي، عبدالوهاب، **ما يبقي بعد الطوفان** (آراء، مختارات شعرية ، سيرة و حوار) ، إعداد عدنان الصائغ و محمد تركي

النصار، ناري الكتاب العربي ، لندن، ١٩٩٦ .

٣- شرف، عبدالعزيز، **الرؤيا الإبداعية في شعر** عبدالوهاب البياتي ، دارالجيل، بيروت، ١٩٩١ .

٤- الصائغ، يوسف، **الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨** ، مطبعة الاديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٨ .

٥- عبدالقادر، فاروق، مقالة : " رحل الشاعر عبدالوهاب البياتي " ، **مجلة المصوّر** ، مصر، العدد ٣٩٠٥، آگوست ١٩٩٩ .

٦- فوزي ، ناهدة ، **عبدالوهاب البياتي حياته و شعره** (دراسة نقدية) ، انتشارات ثاراللہ ، ١٣٨٣، تهران .

٧- كامبل اليسوعي و الأب روبرت . ت ، **اعلام الأدب العربي المعاصر**، ١٩٩٦ ، بيروت .